# أنوبيس

•
•
•

قبل أن تدور السيارة لتقف أمام كشك ناظر المحطة ... يتدلى من نوافذها بعض المجندين العائدين من معسكراتهم ...

ويحاول ثلاثة من السريحة أن يصعدوا قبل أن تكمل السيارة دورتها ... ويقفز على سلم الدرجة الأولى شاب هزيل يحمل كتابا ضخما وقد ترك لحية مهملة تظل وجهه المستطيل ... ويعترضه على الدرج جندي سمين . ويدفع الشاب من الخلف بعض البائعات السريحات ذوات الشيلان السوداء ... ولا يستطيع الشاب رغم هزاله أن يمرق بحوار الجندي الى داخل العربة ... ويسمع صوت السريحات ...

ـ سد الدنيا بكرشه ...
ـ ما توسع البساب ...
ـ بقول فاضية يا عجز ... امشي تعلموا النظام ...
ـ داهية تدها في وشك

ويمرق الافندي الى داخل العربة ... بينما تتولى امراه ( تحمل صفيحة بداخلها شوال ) امر النساء المتزاحمات على الدرج ... يحاول الصعود وهي تحاول الهبوط ... وهكذا يسمع الناظر صيحات ثم ضربا بالصفيحة على راس احداهن .. ويطلق الناظر والكمسارى :

ـ ويقولوا لك العيب منا ..
ـ منا ... ـ ده ـ شعب ...
ـ ومع ذلك ... العربية ـ دي مش ـ طالعة ..

واقتحم الشاب الدرجة الأولى .. ثم عبر منها الى الدرجة الثانية .. ووجد المقاعد الأمامية قد احتلت منذ محطة او محطتين سابقتين .. ولكنه وجد المقعد الأخير الذي يطلقون عليه « كرسي خمسة » وحده خاليا ..

بقلم

أمين ريان

والقى الشاب بجسده على وسائد « الكرسي خمسة » فصاح به سريح ينادي على رملائه « انه محجور » .. وقبل أن يجيب عليه الشاب .. انهالت من الواقد اشولة الباذنجان الأسود والفلفل الأحمر .. ثم أعقب ذلك فردتين من مداس ( مهرند ) هما بغلى السريح ... واخذ السريح يرتب الأشولة على الرف ( الذي بين مسند الكرسي خمسة وجدران السيارة ) ويسميه السريحة « ركن الصناعة » .

و[illegible] الجدة [illegible] الصبور بحمـــدها التسبيد الصغير » الذى يحمل كل صباح حقيبتـــه الكتـــبه المثقـــلة بالكتب المدرسية » .. وقفت به وسط زحام ال[illegible] فراح يتخبط كانه كتكوت عرس بين شيخ كبيـــر .. وقـــرم — يضحكه تسبيح كل صباح الى السيارة .. ثم يترك ويعود الى موقف العربات الكارو فى الرصيف المواجه .

وحـــاول العربى الجالس فيهـــا السريح .. وعندئذ صاح به الشاب ان يتقى الله فى الشيخ العاجز .. ورغم ذلك راح السريح يحاول الاحتفـــاظ بالاماكن الباقية لزملائه السريحة .. لكن العربى الشهم دفع به بعيدا واجلس بقيـــة من طرف « الكرسى خمســـة » الى جوار الباب حتى يصعد الكـــبح فيترك له مكانه ، ثم تنهى مهمته ويعرض الكـــبح السريحة وهم يصـــعدون .. فمدوه بين ايديهم وصعدوا به داخل السيارة .. فاستقر مكانه القرم فى جيلاء ولم يشكر احدا منهم بل أحـــد يتامل الرجل بعينين واسعتين محيفتين ..

وجلس السريح الاول ، ثم ضغط باقى الجالسين وخشر رجليـــه .. فاصبح الكرسى ســـتة اشـــخاص « بدلا من خمسة » .. واســـتطر الكـــبح لعنات السماء على الأرياف التى تصدر صنفا من المواشى باسم آدميين وما هم بادميين .. وضحك السريحة .. ومن هذه التحفة هجم السريحات الثلاثة وهن يحملن اثقالهن واكياسهن ولما كان الكرسى خمسة يرتفع درجة عن ارض السيارة .. فقد الفين باجسادهن التى عمرها الفرق فوق تلك الدرجة ..

وما هدأ تحت أقدام الجالس وصرخات السمينة ظهرها الى ساق الشاب والسريح الذى بجواره وراحت تسب صف الرجال ..

— عيه العوض ..

— قال احجز لكم قال ..

واجابهن السريح الأول ..

— الاقدى حد مكانكم ..

— هو بقى فيه اقدية ..

— ياحبى .. ولا حتى رجاله ..

وصعدت عجوز تحمل قفصا مستطيلا لم يتصور احد امكان دخوله وســـط الزحام وصاح بها احـــد السريحة .. بلهجة صعيدية !

— ياتوى .. ده بضاع حروف .. »

وقال الشاب ان القفص حاليا [illegible] به بعض ثمار المور ..

[illegible] وضعها بعيدا عنه .

**فوقعت فوق التلميـــذ الصـــغير ..**

[illegible] يجدها .. وعادت بدوسه لاخذ [illegible] وراح ينادى حدته [illegible] وحاولت العجوز ان تجد مكانا بين الساء .. فداست فوق قدم السمينة [illegible] وانقض الشاب اذ انتفضت السمينة بعجزتها فوق قدمه . فاصبحت ترتكز بلحمها الثقيل فوق رجله اليمنى [illegible] وعالج سحب قدمه بحدة لكن السمينة رأت تستند ايضا بظهرها الى ساقه وساق السريح بجواره فلم يستطع احداهما حراكا [illegible]

وسب السريحات المرأة العجـــوز

وسألها ما تلك الداهية التى تحملها .. والى اى داهية تذهب .. وسألها السريح الاول ..

« ماذا ستشترى فى هذا القفص . هل ستشترى حمشا . » .

وضحكت العجوز .. واحتملت العجوز دفع النساء وسخرية الرجال .. ثم رددت ..

« لاجل خاطر اليتامى .. يصحوا يقولوا ناكل ايه يا ستى . هاتى عرش ياستى .. فين لونا .. فين امتايا ستى ..

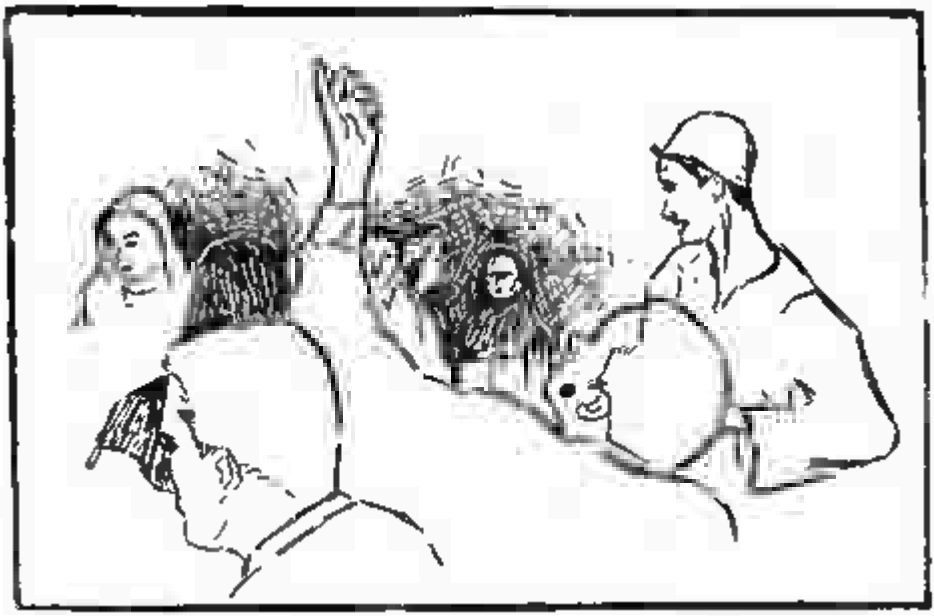

ورقت لها السمينة .. فصاحت بها ..

« هيه .. يعنى انتى اللى حتروبدبها .. الحشرى جنى ها » .

وبينما حشرت العجوز هيكلها العظمى بين النساء .. ارتفع عويل التليذ الصغير الذى راح يحتضن حقيبته ويبحث عن الهواء ولا يعرف رأسه من قدميه .. حتى اعاده الناس بصعوبة الى الارض ..

ومد السريح يده خلسة الى الثمار التى تقفص العجوز ثم الهم منها مره ..

وصفعته السمينة بكف كالمقرعة .. فصاح خلال فمه المحشو ..

ونظر الشاب الى ساعة معصمه .. ثم عاد الى الحوار الذى يدور باعماقه ..

ـ « لا .. لا .. لن اسمح لك وهل يجهل احد ازمة المواصلات .. » .

وكان في الأيام الأخيرة .. ينقطع عن تأملاته الروحية ويدخل في حوار مع مدير الشركة الذي يعمل تحت رئاسته واستطرد ..

« الله .. هي الآلات اللعينة أصبحت حجة لإهانة الانسان واحتقاره في هذا الزمن » وناقش نفسه ..

« ولكن ربما كان الرجل هكذا خلقة ربنا لا يقصد احتقاري بالقول ولا الاشارة لا .. لا ..

نكشر عن أسنانه .. ويشير بأصبعه ويشمخ بأنفه . أنها سلالة طبقات وعربات ملاكي وتعالي على عباد الله ..

وفجأة ألقت السمينة الى السرير الأول ثم سقطت على صدره بكفها وصاحت ..

ـ صوابعك يا ابن الحافية ..

ـ اعمل لهم ايه ..

ـ لهم بالعرض ..

ـ المهم بالعرض !!!

اقطعيهم احسن ..

وصاح باقي السريحة ..

ـ اذا كانوا خلقة ربنا بالطول ..

وضحك الركاب .. ونظر الشاب حوله شذرا وتساءل ..

« ولكن ماذا سيحدث بعد ان يضاعف المدير ثراءه .. فيعمله الى الصواحي ليركب مرتين بعدد ان كان يركب مرة واحدة ؟؟ » .

وخطرت الى ذهنه صورة المدير الجديد بوجهه العريض وعينيه الصيقتين وعربته السوداء .. والقى نفسه يقول :

« لو كنت منك لخجلت من نفسي .. من تعالى على الخلق .. وجهلي بالعالم » ..

ولكنه لم يدر أن كان يقول ذلك لمديره الجديد أم لمديره السابق ..

سخر مديره السابق من كلامه عن الأولياء والقديسين عندما سأله ..

« تصاحلني ازاي كده .. يمكن أنا القديس بولس والا سيدنا الخضر عند الله » ولكن لماذا قال له تلك الكلمات بالذات .. ؟؟ وما شأن رجل مادي وان باشا سابق بهذه الروحانيات او بأزمة الاتوبيسات .. ؟؟

وسخر الرجل من الأولياء والقديسين .. فتوعده وقد كشر عن أسنانه كأنه سيعضه .

« وهل القديسين والأولياء قالوا لك اسرق مواعيد الشركة .. ؟؟

لماذا لم يقل له ..

« بل قالت لك اركب عربتك وامشي في الأرض مرحا .. وسابق عباد الله .. » وضحك الركاب مرة أخرى على ما يجري بين السمينة والسريح الذي جمع ساقيه وجلس القرفصاء فوق المقعد .. وهو يصيح بلهجته الصعيدية « يا بوي » .

وهمس الشاب لنفسه ..

« يتصورون العالم قد خرج من القدرة الالهية .. والبشر لم يعد بشملهم

لطف الله .. ويسخر ان يكون بيننا الآن بولس أو الخضر .. » .

ومن الناحية رأى الصغير وقد ارتفع مويله المذعور « وهو يبحث عن الهواء كطائر مذبوح بعد ان لفظته السيارة» .. وعادت الحدة تحتج على الركاب ان يستصغروا شأن الطفل ويدوسوه ويطاوا كتبه ويطردوه من السيارة ..

ونهرها الكسيح فصمت لعناتها على القوم الظالمين ..

وصاح بها المتشعلقون ..

« الا ترى تعيسها كيف يتشعلقون على رفرف السيارة » .

وصاح بها السريحة ..

« ماذا ستكتسب منه اذا ما ذهب الى المدرسة وحفظ العلم » .

وتمتم الشاب ..

« وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟؟ » .

ورأى الشاب عربة اخرى تقبل الى الموقف فدارت حول الميدان ووقفت بجوارهم وهبط منها سائقها لكن سائقها لم يغادر محطة القيادة .. وحضر ناظر المحطة واخذ يصيح بالركاب الذين حشروا فى السيارة الأولى وهم فى انتظار ان تنطلق بهم .

والقى الشاب الركاب يهرولون الى الارض وكأنه شب حريق فى السيارة .. ولم يفهم ماذا جرى .. لماذا يقذف السريحة بأشولة الخضار خارج السيارة .. ؟؟ ولماذا غادر ركاب المقاعد الامامية ..

وعلى الكفيف من فرط الرقة ان معجزة حدثت .. فجلس على احد المقاعد التى خلت وراح يشكر ويدعو للركاب بالخير وطوع المقاصد .

وسأل الشاب احد العمال ماذا جرى .. فأخبره أن السيارة بها تصليح وستحول ( مجرى ) وان الأخرى التى وصلت الآن هى التى ستنطلق ..

وغادر الشاب مهتاجا .. وعلى الدرجات تعثر فى الكسيح يحاول الهبوط بقوة ساعديه وتطلع الى المحلوق الذى فقد نصفه الأسفل كالفاحود .. وشمله

الكسيح بنظرة وعيد .. ثم صاح وكأنه مشهود بذر الجمهاهير .. وذعر الشاب ـ كان الرجل يشير الى النصف الذى فقده ويهتف » .

« بل هو من صد انفسكم » .

وعطى الشاب الى آيه يردد الآية التى تذكر ـ ان ما اصاب البشر من ضر انما هو من انفسهم .. وحتى ان يرتكب اثما اذ القى نفسه يجادل فى اعماقه :

« بل هو سبب الزام .. بسبب الاتوبيس والله اعلم » .

وراح يشغل نفسه بما يجرى حوله . حتى لا يرتكب احدى الكبائر .. فراى السيدة تحاول اصطحاب زميلتها السمينة .. ولكنها راحت تقسم بالطلاق أن لا تركب الا « الكارو » حتى يوم يبعثون ..

وكانت الجدة تمسك بحقيبتها التلميذ وتشكو للناظر .. فسخر منها فى برود قائلا :

« خذى لك تكسى » .

وتحركت مواجع الشاب .. فاحتج على الناظر صائحا :

« لو كنت مكك لخجلت من نفسى » .

وتساءل الناظر :

« هل يقول له هذا الكلام .. ؟؟

واضطرب الشاب وكان الناظر اكتشف سر الردود التى يعدها مسبقا للمدير .. وتطلع الى المتراصين عند باب السيارة .. كانوا لم يفقدوا شيئا من احساسهم ولكنهم فقدوا كل صوابهم .. واهدروا بالسب والركل كل آدابهم وهتف هاتف باعماقه :

« ان المدير لاشك يعلم انه لا يمكن ان يكون بين هذه الحيوانات بولس أو الخضر !!! .. والا لقلبت هذه الآلة الحقيرة الى سفينة او طائرة تذهب بهذا الكسيح وذاك الكفيف وهؤلاء السريحة كل الى غايته فى غمضة عين .. فهذا اوان المعجزات »

وتوسلت الجدة الصغور لاحد السريحة ان يأخذ حفيدها التلميذ الى داخل السيارة فاجابها ساخرا :

« انه سيأخذه يوم يخصص مكان للسريحة »

فالتفت الى الكمسارى .. واستحلفته ان يأخذ الطفل معه .. فضحك مقلدا السريح .

« انه سيأخذه يوم يخصص مكان للكمسارية ..

وانسدارت الجدة كانها تبحث عن معجزة ..

وكان الشاب يريد أن يرفق الكسيح ـ وأن يتدبر كلماته .. لكنه حمل التلميذ الصغير بيسراه وتقدم نحو رحام الدرجة الأولى وقد قرر أن يراحم .. أن يدفع ويرفس .. بل ويعض .. لعل فى العض تكمن معجزة العصر .

بقلم : د. طه محمود

## ●● تمهيـــد

يعتبر فورستر من الكتاب العقليين ولو من كثرة حبهما وولف ولورنس وهكسلى بأن الحياة اثر من أن تحتويها المعى وان الحقيقة ليست مجرد ادراك عقلى بحت . وقد دفعه حبه للحياة بما فيها من لذة الى السفر الى اليونان وايطاليا والهند ومصر ، فقد أراد فى هذه حياته الادبية أن يعيش حياة العواطف والعواطف الجغرافيـة . ولكن ذكاءه الدقيق وارتواح تفكيره العظرى قيه دفعاه الى التمسك فى هذا الكيف النفيلى للحياة حتى عندما استحكان لالمامها . ولم يكن فورستر البة من هذا الصنف من الناس الذى قد تقتل فلسفة الدم العربية عند لورنس وترفض طبقة عقلية أو حتى مثل الفكرة القائلة بأن الشخصية الانسانية تركز على فلسفة التناقر والتحالف والضعف أو طبقة فطرية فى تحقيق ذاتها . فورستر يؤمن بالحكمة التى تنبع من القلب والتى عالجها ادباء القرن التاسع عشر بالرغم من عدم الاهتمام ، وكانت النهضة فى رأيه أنه بالرغم من التقدم العلمى والحضارى ، وبالرغم

من النهضة العامة في انجلترا فانه لم يصاحب هذا التقدم والنماء التقدم الملحوظ في العاطفة والمحبة والتعمق والادراك . وكان الرجل الانجليزي هو المسؤول عن هذا الفقر العاطفي لان نظام التعليم في انجلترا ولا سيما في المدارس الخاصة كان يهمل تنمية العواطف ويساعد على تحجر القلب . فقد كان نظام المدارس الخاصة Public Schools ، ولا زال يجري نحو الثراء في معاملة الطلبة حتى يطرحوا التحيـــاء مبادئ فلاطون المثلون في أطراف الامبراطورية . ولهذا تجمدت عواطفهم وضعف احساسهم ، وسلط فورستر على هذا الطراز من الناس الاضواء في قصصه ليحملهم هدفا لنقده اللاذع دائما ، ويمكن القول بان معظم شخوصه الشريرة في قصصه من خريجي هذه المدارس .

وفورستر كاتب متحرر انساني يعنى بالحضارة ويغار اليها على أنها أعظم ما حققه التفكير الانساني الحر ولكنه يدرك الخيره التي تواجه الفكر الحر في القرن العشرين . ويرى فورستر أن حرية الفكر ترتكز على دعامة عقلية قوية وتطرح الدين والايمان والمثل العليا جانبا ومعظم مثقفيها من اللاأدريين Fignostics او ممن يؤمنون بالحلول Pantheists ، وبالاضـــافة الى هـــذا وجـــد أن العقل ذاته والمنطق الذي يكثر منه التحليل كانا في عصر لان العقل يضعف أحيانا أمام الغرائز والدوافع اللاشعورية والتحيز ، وكان مجرد الاعتراف بوجود هـــذه الدوافع اللاشعورية الخفية والغرائز يوحي بان الانسان لا يعيش عيشة تتفق مع المنطق والعقل . واخيرا وصل الى أن العقل وحده لا يكفي ، ولكنه كان يحتى ان يبحث عن بديل له . وكانت مشـــكلته هي التوفيق بين مطالب العقل والحضارة والنظام والاستقراطية الفكرية من جهة ، والوعي التحتي وعالم الاحساس والعواطف الدافئة والقلب من جهـــة اخرى .

ويرى فورستر أن النظام والاستقرار والتقاليد والحضارة والتسامح كلها قيم جميلة في حـــد ذاتها ولكنها تتعارض مع «الحيوية وتقر الاحـــســاس وتلك القلب والمواكل والاصلاء و « النفس العاطفي » ، فهم جميلة تنقصها المبادئ الحيوية التي تضفي على الحياة ثراء وتبث فيها الحياة . ووجد فورستر أن من يملكون القيم في مجتمعه ينحدرون الى العواطف الضيقة والحب والرقة في الشعور ، وبعد دراسته لمجتمعه ولهـــؤلاء الطبقة بالذات وجد أن نقطة الضعف في الرجل الانجليزي عامة تكمن في خوفه من العواطف ، في قلبه الذي لم ينم ، ذلك القلب الذي كان دائما مثار في ســـل فهمه وادراكه للثراء من حوله . والمشكلة التي تعالجها معظم قصصـــه هي التعقيد القائم في الشخوص والعلاقات ، وهذه هي الفكرة المحورية في معظم أعماله .

ولم يمكن أي شخص آخر من تصوير تلك العلاقات المعقدة لكن فورستر وان لم يعط لها حلولا أو حدودا واضحة المعالم . وقد أعده موقفه من مجتمعه بمعظم عادته القصصية وبالصراع فيها بين طرفين أو مذهبين في الحيـــاة . طريق القلب الذي يدرك ويحب ويهتم ويعاطف ولكنه مضطرب تحيط أحيانا وتتحير وتصطدم بالعرف والتقاليد ، وطريق التحفظ والرسميات والتقاليد والعرف والقانون الذي يحمي النظام ويحفظـــه ولكنه يخنق العواطف التلقائية تحت ستار من سيطرة العقل والمنطق . وهذا الصراع بين ذوي القلوب المتحجرة وبين الحيويين Vitalists له آثاره في العلاقات بين الافراد وتظهر تأثيـــره واضحا في جميع مؤلفاته . وينتمي الى الفريق الأول تلك الشـــخوص التي تقدس تقاليد بقدت حيويتهـــا واصبحت جامدة ، وتحتقر عليهم حتى من خلال تعاريفهم الذاتية ان يخيروا من تصرفاتهم ، وهم المحافظون المتزمتون .

لقد تكيفت حياة هؤلاء حسب مبادئ ولن تغير المحاور الذاتية من طباعهم فهم أعداء لكل فكرة جديدة ويحطمون الحب وتتقطع الروابط الرقيقـــة التي تكون نسيج العلاقات الانسانية من جراء تصرفاتهم وجنونهم . وهؤلاء النـــاس ، كما يقول فورستر ، يصنع منهم القادة والساسة والرجال الرسميون في الحكومة البريطانية ولو انهم لا يرقون الى مرتبة الآدميين المتكاملين . وينتمي الى المجموعة

الفاضلة من بطلق عليهم فورستر « الخيرين » فهم يحسون بعمق ولا يحاولون من جوانبهم ويتفاعلون مع غيرهم لأنهم يدركون غلوبهم لوجودهم وارتباطهم في علاقاتهم بالآخرين . ولهذه الخيرة أهمية عشيرة بحملهم أحيانا لا يبالون بالتقاليد البالية اذا دعت الضرورة لذلك . ومن الشخصيات الرئيسية ، روبي هيلسوب والراند كالشقر وعائلة كرتون في قصته « رحلة الى الهند » وعائلة ويلكوكس في « هواردز اند » ؛ ومن الشخصيات الخيرة ، فيلدنج ومسز مور في « رحلة الى الهند » وعائلة شليجل في « هواردز اند » .

• • •

## حياته وفنه القصصي :

لقد توقف فورستر عن كتابة القصة منذ زمن طويل لأنه اتجه بعد نشر « رحلة الى الهند » في عام ١٩٢٤ الى الكتابة في موضوعات أخرى . وان كان ت . س . اليوت « وصامويل بتلر يبقى » قد تركا الشعر النثري ليكتبا مسرحيات شعرية فقد اتجل فورستر القصة ليكتب في النقد وفي الحضارة والسياسة بوجه عام . ومع ذلك ، فان له مكانة مرموقة في الأدب الانجليزي حتى الآن لما تحتله قصصه القليلة الأولى ( منذ نشره « حيث تخشى الملائكة أن تطأ الأرض » في عام ١٩ حتى « رحلة الى الهند » في عام ١٩٢٤ ) من مركز ممتاز في الأدب الانجليزي عامة وفي مجال القصة خاصة . ومن طريق مقالاته النقدية وقصصه وشخصياته وآرائه أمكن للأدباء والدارسي القصة الحديثة من أن يروا بصورة واضحة تلك العناصر التي تجتمع لتكون القصة الشريفة وتكون ركائز للفن القصصي .

ونحن لا نجد في كتابه المشهور عن القصة « أوجه القصة » Aspects of the Novel احيانا مذكر بالرمز أو علم النفس التحليلي أو نظريات العلم الحديث في الفيزياء أو موسيقة القصة أو حتى في التجديد و الابتكار ، ولو أن هذا لا يمنع من استعماله لبعض هذه الفنون القصصية الجديدة في قصصه . فلقد رأينا الرمز في كهوف مارابار في « رحلة الى الهند » والمنزل والبيارة والشجرة الصينية في « هواردز اند » ، ورأينا كان فورستر نظيرا في الاعتراف بهذه الفنون القصصية وان كان على استعداد لتخير وجهة نظره وخاصة بعد قراءة جيمس جويس . وعتبر فورستر كاتبا تقليديا في كتابته للقصة ، ويذكرنا في بعض أجزاء قصصه من امثال « رحلة الى الهند » ، « هواردز اند » بذاكري ودكنز . فهو يعطي القارىء الاحساس بأن القصة أولا وقبل كل شيء ما هي الا عملية « تصنيع » أو « تركيب » ولا يحب المفاجأة في التدخل بين القارىء والقصة أحيانا ليلقي الضوء على بعض المواقف ويطمئن القارىء بأنه هناك لمساعدته اذا اقتضى الأمر .

ويمكننا تلخيص اتجاهه في الحياة وفي قصصه في هذه الكلمات : ان فورستر يمثل شخصية المفكر النير المرهف الحس الذي يعيش في مجتمع يتمتع افراده بملاءة الشعور ، أو شخصية الرجل الطيب الذي يحب التأمل والذي يجد أن وجوده في المجتمع يتطلب منه التورط في مشاكله والذي يعتبر نفسه مسئولا عن تكوين الحضارة في عصره وتوجيهها . فان لم يكن فورستر من هذا الصنف من الناس ، فما قدر له ان يكون الكاتب والقصصي الذي نعرفه اليوم .

ولد ولد فورستر في ١١ يناير سنة ١٨٧٩ في مدينة لندن وعاصر فيكتوريا وادوارد . وكان والده معمارا مشهورا ، ووالدته من عائلة لها مكانتها في مجال الفكر والأدب . وتعلم في مدرسة « تونبردج » ولم يكن طالبا من طلبة الداخلية بل كان يقيم بالمنزل . وكان لهذه التجربة اثرها في حياته لأنه أدرك لأول مرة مدى تفاهة المثل والاحباط الذي تولدهما عدم القدرة على الارتباط بالآخرين وتكوين علاقات ودية معهم . ووجد فورستر أن هزال جسمه وضعف قواه البدنية قد أقاما حاجزا بينه وبين التطوع مع اقرانه وممارسة الألعاب الرياضية ، واصبح زملاؤه « دودة كتب » تماما كما حدث لستفن ديدالوس ( جيمس جويس ) في « صورة الفنان في شبابه » عندما كان يدرس في كلونجوز وود كوليدج ، ولألدوس هكسلي كما تصوره لنا قصته « تقابل الالحان » في شخصية فيليب كوارلز .

وقد [illegible] ومنها ادورسفراطي الكمالي دورا هاما في حياته الاولى [illegible] ، سواسون ، معقل الهاربين الفرنسيين ، والقصة الثانية تشير الى اقامة فورستر في حديقة القصر المدرسية ، القصة الاولى ، حيث تجلى الملائكة أن تطأ الارض ، والقصة الثانية ، اصول رحلة ، .

وتتحدث فورستر في مقال له بعنوان ، لورة مارسي ، عن منزل جدته حيث كان يجتمع وليام ولمرفورس وجيمس ستيفن وغيرهما ليناقشوا مسائل دينية واجتماعية وما كان لهذه المجموعة من نشاط في انهاء تجارة العبيد ، وقد اثرت حياة المدرسة الخاصة في فورستر تأثيرا كبيرا واستمد منها معظم أفكاره ، ويصف فورستر مواطنيه بأنهم ، أجسام ناشيه ، وعقول نصف نامية ، وطوب غير ناضج ، والسنوات التي قضاها في كمبردج تعد أسعد سنوات حياته ، فقد تمكن أخيرا من الدراسة المثالية في جو علمي هادئ، يساعد على التأمل ويشجع البحث الحر والفكر الحر ، وأصبح من الممكن أن يبقى [illegible] ، قادرا ويعمل وفق هواه في مشروعاته تحت اشراف أساتذة أجلاء لهم من الخبرة والدراية ما يمكنهم من اظهار الواضح في تلاميذهم وصقلها ، وسرعان ما تفتحت مواهبه ونضج فكره واصبح دارسا وكاتبا ـ بل قد صار انسانا .

وبعد تخرجه في عام ١٩٠١ عزم مثل ، مريلتون ، وغيرهما وولف من قبله أن يشد رحاله الى حضارة الكلاسيكية وممالكها ، فقام بزيارة اليونان وايطاليا حيث تمكن من استعراض حضارة منطقة البحر المتوسط واستيعابها وله دليل هي مدينة الاسكندرية نشره عام ١٩٢٢ واضاف اليه في طبعة اخرى عام ١٩٣٨ وكتاب عن حكومة مصر عام ١٩٢١ .

وفي منتصف هذه [illegible] وصل الى قمة انتاجه الادبي ولم يكن له نشاط ادبي فحسب بل كان له أثر سياسي ، وحاول ان يقنع المحافظين بضرورة ادخال الاصلاحات ، واستمر يكتب في موضوعات سياسية في مجلة لها رأي مستقل ، وقد تضمن حماسه وتعلقه الشديد بحضارة البحر الأبيض المتوسط قصصه التي أوحت له بها مناظر من الحضارة البريطانية وميثولوجيتها ففي قصة ، حيث تخشى الملائكة ان تطأ الأرض ، نجد قصة دقيقة الصنع جميلة شبيهة بما فيها من فهم وادراك للنفس الانسانية والطبيعة الساحرة والقيم الروحية وسحر ايطاليا .

وفي خلال السنوات الخمس التالية ، ظهرت معظم كتب فورستر الهامة ما عدا غرفة الى الهند وما ان بلغ الثلاثين من عمره حتى وكان قد نشر له ، حيث تخشى الملائكة أن تطأ الارض ، في ١٩٠٥ ، ، أصول رحلة ، في ١٩٠٧ ، وهي قصة نشأته وحياته المدرسية ، ، حجرة تطل على منظر ، في ١٩٠٨ ، ، هوارد اند ، في ١٩١٠ والقصة عمل طموح يحاول فورستر فيها أن يصور الأمراض المتفشية التي تعوق نظام الحياة الانجليزية الحديثة كما يشخصها ملاحا اوليفيا ، وأخيرا مجموعة من القصص القصيرة في عام ١٩١٤

وفي عام ١٩١١ قام فورستر برحلة الى الهند لاول مرة وبعد عودته ضمن نتائج رحلته واطلاعاته قصته المشهورة ، رحلة الى الهند ، ولكنه لم يتم القصة وتركها لفترة من الزمن حتى عام ١٩٢٤ رحلته الثانية الى الهند عام ١٩٢١ ولم تعتبر أهم قصة له الا في عام ١٩٢٤ وتقبلها النقاد باطراء بسبب نوع من الجرة وأهتم فورستر من تصديرها صاحب شهرة عالمية وقد تم توزيع هذه القصة حسب آخر احصائية من دار ، بنجوين ، وحدها أكثر من نصف مليون نسخة .

وفي عام ١٩٢٧ اختير للقيام بالقاء ، محاضرات كلارك ، في جامعة كمبردج وكان أداته في محاضراته عن القصة والتي القصصي أهمية قصوى تماثل ما قاله ت . س . اليوت في النقد والشعر في ثلاثينات وارسيناك هذا القرن . ولكن فورستر لم يواصل كتابة القصص بعد ما أحرزه من نجاح وشهيد ، ولكن اذا كنا قد حرمنا كقصصي مبدع فقد كسبنا في أجل ما يكتبه في النقد والسياسة

والحضارة والثقافة ـ ونظر الآن الى « رحلة الى الهند » وكأنها تشير مما قد يحدث في المستقبل ويمكننا ادراك اهمية القصة الآن وبعد مرور اكثر من اربعين عاما على نشرها .

واذا لم يكن فورستر قد خلق فن « بروسته » المعقد أو جويس ، فهو بالرغم من ذلك قصصي بارع نوى من طراز ممتاز ، فحكايات قصصه دائما سهلة والسرد فيها ساتر مختصر وله القدرة على جلب انتباه القارىء وشده اليه في معظم قصصه . وفورستر قصصي هادىء رزين لا يتصل مع قصصه كلورنس سلا او جويس ، وفلسفته هي فلسفة الرجل المحور المحنك الذي لا يرغب من الحياة في غير الصداقة والاخلاص والحب والعلاقات الفردية الدائمة بين شخص وآخر .

* * *

## اعماله :

يشير الصراع في أول قصة فورستر ـ « حيث تخشى الملائكة ان تطأ الارض » Where Angels Fear to Tread ( ١٩٠٥ ) ـ بين « المتزمتين » و « الحيويين » ، ويتناول هذا الصدام كرد فعل لزيارة ارملة انجليزية شابة من مجتمع « سوانستون » من رجل ايطالي هادىء مرح يدعى « جينو » . وعندما تموت الام اثناء ولادة طفلها يثير المحافظون أن من حقهم العناية بالطفل خوفا عليه من والده الذي لا يهتم الا على الاحتفاظ بطفله الذي يحبه ويصر على التقاليد الانجليزية العتيقة والتمسك بالشرف والاخلاص دون رض او تفكير . ويمثل « جينو » الحرارة الدافئة المتكاملة وتتصرف بما تمليه عليه ايمانه واعتقاده لا بما تمليه عليه التقاليد والعرف ، وتتصرف بدافع من الرغبة الصادقة لا بدافع من الواجب الملزم . ويصور لنا فورستر ان فقر « جينو » على الحب والاخلاص لاسه صادقها في القوة قدرته على الفكر والدهاء والقسوة واللامبالاة فيها لا يخص انه ـ لا يعتمدها فورستر ولا يمدح نفسه ، فهو يعلم جيدا أنه من الصعب العثور على شخصية تمتزج فيها العواطف والدوافع المخلصة دون شوائب ، فالانسان الكامل لم يوجد بعد والعثور عليه حلم يراود القصصي دائما .

وبالرغم من قصر هذه القصة وسطحيتها وهدوئها فانها تجري في طياتها وفي طريقة تركيبها الفكرة الرئيسية في قصصه الاخرى ، وما لا يستطيع فورستر ان يعبر عنه لنا فيها من تداخل وتعقيد وسبك في النسيج القصصي وتوارد المادة والرؤى موضحا عنه بالطريقة المباشرة في السرد وبالصراحة والبساطة التي نصف بها جلم شاب انجليزي ـ فقد كان فورستر ـ بالرغم من انه كان في السادسة والعشرين من عمره ـ من النضوج الفكري والاتزان ما يجعله يعتقد ان بيئة كالبيئة التي نشأ فيها لابد لها من التحكم في العواطف اللقائية وكبتها . فقد نشأ أفراد مجتمع « سوانستون » في جو « بارد » يخلو من « حرارة » العواطف ويقاسي من السطحية والنفاق والأنانية الرخيصة . واعتقاد فورستر ان مجتمعا مثل هذا المجتمع لن تمكن افراده من التعبير عن الجانب الخير فيهم او من تنمية قدراتهم الانسانية . وقد حاول فورستر في ابراز صور الشخوص على حقيقتها في قصصه وعالجا ما يدفعها الى الظهور بطريقة اساسا حين يحملها تواجه ازمة معينة في موقف يضطرها فيه الى الخروج من سلبيتها . ونرى هذه المواقف والأزمات بوضوح في قصتيه « هوارد اند » و « رحلة الى الهند » .

وتطور هذه القصة من التمهيد المفصل في حبكتها ويمكن تبسيط حبكتها على هذا النحو : تلاحظ مثلا مجموعة من الشخوص تختلف طرق حياتهم وبيئتهم غير مكتملي الشخصية ولا يمكن اعتبارهم أفرادا لهم القدرة على التصرف والاحساس كالآدميين . وينتقل مع هذه الشخوص فجأة الى بيئة اخرى او بلد آخر أكثر ثراء من الناحية العاطفية والروحية وأكثر دفئا وأقرب الى الحضارة الانسانية منه الى الحضارة الحديثة . ثم تقوم بتحليل نتائج هذا الاحتكاك والتأثير بنوع من العمق ونوع من التعاطف والاحساس الذي نرى الفرق أو الدرس الخلقي والفلسفي بتضميناته العديدة ،

وقد اعطانا هنري جيمس فكرة عن هذه الطريقة من قبل وأضاف عليها فورستر طابعه الاجتماعي والنفسي ومصارحة فالقصة عليها تمكن منها هنري جيمس دون مواربة .

ويمكن تفسير الفكرة المحورية في هذه القصة وفي غيرها من قصصه على أنها سلسلة من الأضداد الاتصال الوثيق والاندماج الكلي بين الأفراد يقابله محور الحديث العابر واللقاء السريع ، الحب الأساسي الذي يحياه الأفراد يقابله التحالف النفعي والتكالب لمصلحة معينة ، الحقيقة يقابلها الغيرة الشواء والتحيز ، ألوان الحضارة الغربية الميكانيكية ويقابلها التيارات الحضارية الخفية التي ترتبط انسانا ما آخر ، الفيزيولوجية الطبيعية يقابلها التطبيق الحديث العملي للعلم ، هذا الى جانب اصراره على ان هذه الأضداد لا تعمل منفردة في أي حضارة او بيئة فلا الشرق شرق ولا الغرب غرب ولا الخير خير تماما يخلو من الشر ولا الشر شر تماما يخلو من الخير .

وفي خمسة جديدة للقصة يظهر على الغلاف صورة لقطع من ثوب حطاب ممزق عليه طابع تربد ايطالي ملفي ومنارة ، ثم يعلق عليه « ثم يعلق مصمم الغلاف لنا القصة رمزيا . فقد فقدت وسيلة الاتصال أو الربط والعرف ورمزيا تعتبر الصورة تبسيطا جائرا للقصة التي يحاول فيها فورستر أن يصور حالات يصعب فيها التلاقي او يكاد يكون مستحيلا ، ورمزيا يعيد القارىء الآن نوعا من التكرار الممل في غرض نفسيته لا سيما اذا كان قد قرأ الكتب الحديثة في « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس » لديل كارنجي أو حتى قرأ كتابا في علم النفس يشير الى مشكلة الاغتراب والعزلة والوحدة ، ولكن أهمية فورستر ترجع الى انه تنبأ بهذه الظواهر قبل حدوثها ، ويصعب علينا أحيانا أن نعترف بأن خطى هذه الأزمة في الأدب الانجليزي ، نعمره وثمره ، والتي روج لها لورنس وهكسلي وفرجينيا وولف وجيمس جويس واليوت ، تعود الى مجتمع سوانسون ونعدت هذه الميزات الضيقة عنه منذ عام ١٨٩٠ وعندما رمان قبل زمان « ليونولد بلوم » وستيفن ديدالوس في « عوليس » وستيبوس وارين سميث في « مسز دالواي » وفيليب كوارلز في « تقابل الأنعان » .

وتختلف الآراء من الحيوان في قدرته على استعمال اللغة كوسيلة للاتصال بآخرين ، واللغة كوسيلة فكرية او اداة حضارية ، سواء مجردة او مسموعة ، لها فوائد لا تعد ولا تحصى ، ولكن هذه الوسيلة تخفق في الحالات التي للحب او النفس فيها دخل في تجارب ذاتية ، فالكلمات التي نستعملها في الصلاة او في الاتصال الى الله تعتبر كلمات ساذجة قاصرة لأنها عن التعبير عما في صدورنا من محبة في سبيل الله عز وجل ، ولا يمكن للحب ان يعبر عن نفسه او شرح احاسيسه العميق او انفعالاته الا بما نوحي به بضع كلمات على بطاقة للتهنئة او حتى خطاب غرامي طويل ، وبالرغم من عجز الكلمات عن تأدية وظيفتها العاطفية في مثل هذه الحالات فلا غنى لنا عنها وليذا عمز فورستر بالكلمة المكتوبة والمطبوعة وقدرتها على تدعيم وتعضيد أنها حلقة الوصل التي يمكن ملاحظتها والرجوع اليها بين انسان وآخر ، ويحاول فورستر ان يقوم بدور الوسيط في القصة ويسقط موقفه في أسلوب التخاطب بين الناس وان لم يكن اسلوب الاتصال المباشر أو الفهم أو التعاطف ، ويعد افراد الطبقة الوسطى الأثرياء يحاولون أن يرفعوا من شأن لغة التخاطب العادية ليحملوا منها لغة في حد ذاتها . ولا تمتاز الكلمات هذه الطبقة وشخوصه امثال فيليب هيرتون ووالدته وأخته عادت لعهد الكلام ويوحي اليها فورستر في كثير من المواقف بأنه من الامتهان للكلمات أن نستعملها بهذه الطريقة المبتذلة وان نستعملها استعمالا سطحيا دون احساس وزن دقيق لها ، ونقرأ في القصة

« وتكلم فيليب دون انقطاع ... ولكنه لم يكن يدري ان خوفا كبيرا من كلامه كان لا طائل تحته . »

ان فكرة الاتصال او الربط او التلاقي تصل الى ذروتها في القصة وتطور معزاها الرمزي في زواج « لنيا » من « جيو كاريلا » ، ولقد مهد جو ايطاليا الشاعري وسحرها وجمالها للمقارنة بين هذه السيدة الانجليزية وصديقها الايطالي البسيط ، بين الصبي والغير ، بين الطبقة الراقية والطبقة

الدنيا ، بين الشمال والجنوب ، بين البـــارد والدافئ ـ حضارتان مختلفتان ، كما يقول فورستر ، تحاولان ان تمدحا وتترابطا وتصلا ، ولكنا الفوارق والصفات التي يقاطيها كل فرد يحاول ان يخرج من نطاق دائرته الذهنية والحضارية واللغوية في الاتـــساع حتى تصير لها تضحيات عالية وانسانية تتعدى حدود ثقافة الفرد الواحد وحضارته ، وقد عالج فورستر هذه المشكلة باهتمام زائد في روايته « رحلة الى الهند » ، وتبدأ الصعوبات التي تعترض الرومانيين في الظهور والتضخم حتى ينتهي الامر بهما ويقول فورستر في القصـــة :

**« كانت المحادثة ـ اذا كان من الممكن ان نسميها « محـــادثة » ـ تدور في خليط من الانجليزية والايطالية . ولم تتنازل ليليـــا عن الايطالية شـــيئا يذكر ، ولم يكن ممكنا كارلا قد تعلم شيئا من الانجليزية ! »**

وتبدأ الصعوبات التربيعيـــا في ادراك وجود روابط أعمق وأقوى من الكلمة المقروءة أو المسموعة وتجعلت « سيريلديوني » مع صديقته جيسو من « لغة الحب » بقوله :

« ان الشخص الذي يحبهما من اول نظرة ، والذي لا يضـــايقها ابدا ، والذي لا يسأمه اطلاقا ، والذي يستطيع ان تعتمد اليه بكل افكارها ورغباتها ، لا عن طريق الكلام فحسب بل عن طريق الصمت ـ هذا هو ما اعنيه بكلمة Simpatico

وهذا الفهم المباشر لا تعبره الكلمات ، فهي احـــاسيسه تحطم حـــواجز الـــن وحواجز الطبقات وحواجز المال . وقد كان في استـــطاعة « ليرا » في مسرحية بيجماليون لبرنارد شو مثلا ان تستغني عن خدمات الاستاذ هيجنز ، وتزايد اهتمام فورستر بهذه المشكلة على مر السنين وتستمر في تحليل ذهنه ، فالحطابات المتعرقة والطابعات التي ترسلها جيسو « لارما » لكي يضيق المسافة بينه وبينها وتقارب بينها بين الحضارتين والبيئتين،سجل محادثاتها،والرسائل المتبادلة بين احواف آل شليجل في قصته « هوارد اند » أما حطـــاب عليه،تج للدكتور عزيز في « رحلة الى الهـــند » ـ ذلك الحطاب الذي نراه في آخر القصة والذي يحطمه في قصير صحراء محمود على صديق الدكتور عزيز ـ فيساعد بين الرسل والمرسل اليه وتكون النتيجة اتساع الهوة بين الاثنين ، ولكن بالرغم من معالجته للمشكلة الاتصال بشخصياتها المختلفة في قصصه الاخرى الا أننا لا نجد عرضا دقيقا لهذه الشخصيات الا في قصته الاولى .

وفي فورستر مع غيره من كتاب القرن العشرين التناقض في « التقدم » العلمي الحديث ، فمع تطور وسائل النقل والمواصلات وتقدمها من سكك حديدية وطرق وليمون يظهر التناقض في تباعد الفرد من فرد آخر فتقريب المسافات قد زاد من المسافة بين الفرد والفرد ( وقد سمر فورستر عن هـــذا اروع تعبير في قصة قصيرة له بعنوان « عندما تتوقف الآلة » ) . فقد ساعدت المخترعات الحديثة من راديو وتلفزيون وطرائق يومية ومحلات من التغلب على الزمان والمكان ولكنها فشلت في ايجاد وتحقيق العلاقات الانسانية . ويدفع الدرع بيرد « العالم الحديد الشجاع » فورستر الى خلق شخصية جيسو ، فجيسو تسيطر على آلاتها ومخترعاتها الفوضى تعكس حيرة الانسان في عمل هيرتون وضعيف فورستر « ولكنها الفوضى التي تأتي نتيجة للحياة ، لا كنتيجة للحزن والكآبة » ويدهش كارولين عندما تنظر الى طفل جيسو ـ طفل حقيقي من صلب أبيه ـ ينام في سلام على سباط قش .

ويظهر اثر الآلة في القصـــة من آخر ورمز السيارة الى عربة الدعوى ضد هذه الحضارة الميكانيكية ، فلدينا من دوريك في « رحـــلة الى الهند » ، شخصية مرحة تمكر ضد النحو وتنفلت من حولها كل مرة تظهر ســـيارتها ، ولكن فورستر يدخر سخريته على الآلات الميكانيكية لقصـــة « هوارد اند » حيث يبين ان في استطاعة انجلترا ان تضحي بالآلة في ســـبيل حيـــاة اكمل وافضل .

وفى القصة عالج فورستر الحب على مستويات مختلفة ـ حب الأم ( ليليا ومسز هيلتون ) والحب الروحى ( كارولين أوت ) ، والحب الحسى ( ليليا وجيمز ) والحب الأبوى ( جيمز ) وفقدان الحب ( فيليب ) والحب الفاسد ( هاريت ) . لمعظم أفراد مجتمع سواستون يعيشون دون وعى منهم من الحب فى ايطاليا ، تلك الناطقة التى حرمتهم منها الحياة المحافظة فى انجلترا . وتفضل هاريت فى الحب تماما لأن عليها كان قد تحجر بعد أن تمكنت منه عادات سواستون المقيمة . ويعيش فيليب وكارولين لسوء حظهما حياة رمادية . وتؤثر جو ايطاليا الساحر عليهما وعودتان الى انجلترا بعد هذه الغامرة التى سيكون لهما أثرها فى مستقبل حياتهما ، فقد حرص فورستر على أن يجعل للقصة خاتمة سارة .

ومن عادة فورستر ألا يمنح القارىء حوادث سالبة أو ايجابية تامة ، فهو يشجع شخوصه على التمسك بالحقيقة ولكنه لا يحرمهم من الاحساس أحيانا فى ملذات الخداع . فهو لا يحاول أن يرى الأشياء سضاء أو سوداء فمجتمع « سواستون » مجتمع مهذب من الناحية العاطفة ولكنه مجتمع ظريف مؤدب مريح . ولا يخفى فورستر اعجابه بايطاليا ولكنه لا يتحمر لها ولا يحاول أن يخفى عيوبها من همجية وفوضى .

## اطول رحلة ١٩٠٧ The Longest Journey

تعتبر هذه القصة نوعا من القصص الذهنى ولهم تفقد الحياة أكثر من اهتمامها بتصويرها ومعظم شخوصها من المثقفين « الناظر » . ويدور الصراع فى القصة بين الزوج وهو شاب عقلانى والزوجة وهى سيدة فتاة الأفق ترمز الى العالم بقيمه المادية . وفى القصة تحدث فورستر عن دور الجامعة فى حياة الفرد « بى أرثى لهؤلاء الذين لم يذهبوا الى كمبردج ، لا لأن الجامعة مكان أمين ، ولكن تلك السنوات كانت ساحرة . واذا حالفك الحظ كان فى استطاعتك أن ترى هناك ما لم تره من قبل وربما لا تراه ثانية . هذه هى الحقيقة ان هذه الصحراء التى تكتسح من « الحياة الطيبة » ـ حياة خالية من الكفاح الدائر والطموح ـ تعطى لذة وحلاوة للحياة وتضفى عليها معنى لا يعرفه هؤلاء الذين لا يستطيعون ممارستها » .

## حجرة تطل على منظر ١٩٠٨ A Room with a View

يدور الصراع فى هذه القصة فى نزل أو « بنسيون » فى ايطاليا ، فتصل لوسى مع شارلوت اسة عمها وهى محطة للمتاعب ، فتطرتها للحياة فسحة تعودها الانجليز الانجليزية من جانب ومن جانب آخر يعدها لتقديمها للمناسب والمستقبل ، ووجدت السيدتان ان صاحبة « البنسيون » قد فصل فى حجز حجرتين متجاورتين لهما تنظر لطيف . وتؤثر شارلوت عندما تعرض مستر « امرسون » أن تأخذ السيدتان الحجرتين المخصصتين له ولابنه بدلا من حجرتيهما . وتصور لنا فورستر الصراع الذى ينشأ فى نفس لوسى التى تعد نفسها لحياة مترفة لقوى متضاربة ، فهى لا تريد أن تغضب شارلوت وفى الوقت نفسه لا تريد أن تخرج جورج امرسون الذى كانت قد بدأت تشعر نحوه عاطفة رقيقة فتستسلم فى النهاية للتقاليد « وانضمت أخيرا الى الجمع المنظم من الذين يعيشون فى ظلام ولا يسيرون خلف العقل أو القلب ، بل يسيرون الى غاياتهم وفق كلمات معينة . وهؤلاء هم الذين استسلموا للصدو فى داخلهم » .

## هواردز اند ١٩١٠ Howards End

ان حياة الفنان ، سواء رضينا أو لم نرض ، تضع نفسها فى تقييمنا للعمل الأدبى بالرغم من أنه فى تقييمنا له يجب علينا أن نعنى بالعمل ذاته . ولكن هذا لا يحدث بهذه السهولة فالرغم من أننا نعتبر حياة الفنان أمرا خارجا عن نطاق اهتمامه الأدبى الا أننا ، دون وعى منا ، ندع ما نعرفه عن حياته يؤثر فى حكمنا على عمله . فنحن دائما نحس بوجود الأديب خلف العمل الأدبى ، لا عن طريق

ما يستطيعه من العمل الادبي ولكن من طريق الحقائق والمواقف التي يحسها من حياته الخاصة .

وتعتبر « هوارد اند » تجربة فورستر الاولى التي استهلها بقصته « رحلة الى الهند » فيها تتطور افكاره وتنمو .

وتعتبر « هوارد اند » حلقة اخرى من حلقات الصراع بين العالمين ، في احدهما تنمو الشخصية وتكتمل وفي الآخر تذبل من جراء الكبت والقسوة . فيرى صراعا بين العقل والروح من جانب وجباة المال والعمل من جانب آخر . وتمثل أفراد عائلة شليجل المثقفون افراد عائلة ويلكوكس اصحاب المال ويدرك الجميع في النهاية انه لا بد للعالم من « تعايش مفيد » بين النوعين . ويرى فورستر خيوط نسيج الحياة تتداخل وتتعقد امامه ، فهناك اخلاط وتشوش واسرار ، وليس هناك شيء اسود او ابيض ، او صواب مطلق او خطأ مطلق ومن يريد ان يتجنب الخداع يجب عليه الا يرضى بشيء ايمانا مطلقا فكل شيء موجود في الحياة ولكن لا لشيء قيمة مطلقة .

تبدو انجلترا في القصة في حالة اضطراب وتتحرك القصة رمزيا لا من طريق التآلف بين الشخوص فحسب بل لوجود رواح وسيمعونيه ومكتبة عامرة بالكتب وسيارة صاحبة وشجرة وارفة الظلال ومنزل قديم . ورمز انجلترا هو المنزل العتيق الذي استوحى من اسمه فورستر عنوان قصته « هوارد اند » . والسؤال الذي يطرحه فورستر للبحث هو « لمن سيؤول المنزل ؟ من الذي سيرث انجلترا ؟ والصراع ليس بين طبقتين ولكن بين افراد ينتمون الى طبقة واحدة ، الطبقة المتوسطة ولا يرى في القصة اثرا للارستقراطية ولا للفقراء وكما يقول فورستر : « نحن لا نهتم بالفقراء ولا بهمنا التفكير فيهم . ولا يمكن ان للاحصائي او الشاعر ان يهتم بهم . هذه القصة تعالج الناس الطيبين ، او هؤلاء الذين ينتمون الى المظاهر بأنهم طيبون » . فالمدعو « لونارد باست » في طرف هذه المجموعة يقف على حافة الفقر وفي الطرف الآخر يقف مستر ويلكوكس الذي يزداد ثراؤه ثراء وتسيطر آل شليجل « مارجريت وهيلين » تعيشان عيشة رغدة من دخل ثابت محترم . وآل شليجل يمثلون الذكاء والعقل والادراك والوعي في القصة ومن طريقهم تتضح القصة امامنا ، فهم بؤرة تلاق ومركز التماس والربط بين طرق الطبقة المتوسطة الاغنياء والفقراء معا . ولكن الشخصية التي تسيطر على القصة لا تنتمي الى احدى عائلتي المحبوبين وهي مسز ويلكوكس التي وان كانت روحة لرب الاسرة الا انها تتركها ، ولاسيما العلوي لبعدها كثيرا في الميدان القدير — رامبوت او روحة . ولا يقتصر الصراع في القصة على صراع بين افرادها بل يتعداه الى صراع بين الرجل والمرأة . فمارجريت شليجل الى صفوف آل ويلكوكس وحضارتهم على العمل والتاجر هنري ويلكوكس ، وتقع هلين شليجل في حب تول ويلكوكس ولكنها تتركه عندما تكتشف انه جبان .

والقصة محاولة جريئة للتعبير عن فلسفة الكاتب الخاصة وفيها تحاول فورستر ان يضم اجزاء الحياة المتعثرة التي تحدثها امامه . وقد نجح في ان يضع انجلترا تحت مجهر قوي ويحلل المرض الذي ينخر في عظامها ويصف حيويتها وحيرتها امامها . وربما لا يكون العلاج الذي وضعه فورستر لمواطنيه ملائما تماما ولكن ما يقدمه للانجليز به هو تشخيصه للداء بكل دقة وامانة . ويمكن وصف هذا المرض بأنه « نقص في التناسب » . وقد تضع انجلترا احسن حالا وقد تبرأ من مرضها اذا عاد اليها التكافؤ والتوازن في اصلاحات الاجتماعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكذلك في التوازن بين الفكر والعمل بين الافراد ، وفي التوازن بين الآلات والناس واخيرا في اتحاد الجسد والعقل مع الروح . واذا وجدنا ان فورستر مطالبا في هذه القصة بالشيء الكثير ان لم نكن بالشيء الجسيم فلنقرأ سطرين او ثلاثة من مقال له بعنوان « ما اؤمن به » حيث يقول : « لست في الضرورة الملحة في طلب ولست ايمانه العميق وتكاسة لتحقيق حلمه « لا عن طريق تقدمه بل عن طريق تنظيم الخير ووزنه في نفسه مستمكن الانسان من حبس الخير في نفسه له ، وهكذا سيكون لديه الوقت لاستكشاف العالم وتراه الرؤية فيه بصورة . »

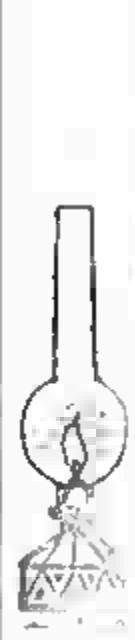

ولا يوجد شخص شرير في القصة التي تعالج أنماطا عديدة من الشعب الانجليزي ابتداء من « حاكي » السوقي الذي تعلم من الحياة في الشارع الى مستر ويلكوكس الثري البار في المجتمع ـ وحتى فلورنس الذي يرتج به في السجن لجريمة ارتكبها لا يعتبر مقدما مقدر ما لأدب المجتمع في حقه . والذي المرح المتعرف في هذه الشخوص هو نظرتهم للحياة أو كما يقول مايو أرنولد : « القدرة على النظر الى الحياة بيأس والنظر اليها نظرة شاملة » ، فاذا نظرنا الى الحياة بهذه الطريقة ، برأي سريف وعقلية طيبة ، فيجب أن نتسلم الحياة في وجوهنا ونشرق وتتحمس .

وعند فورستر نوعية مجموعة من الشخوص تقف خارج دائرة هذا الصراع ، شخوص لا ترى الحقيقة ولا تدركها عقليا ولكنها « تحس » بها ، فالحقيقة عندها احساس ، تشعر بها بالوجدان والحدس ، وتفيض اثر هذه الشخوص على الناس من حولها ولكنها لا تشترك في الاصلاح أو الصراع ، وعادة ما تكون هذه الشخوص في متوسط العمر أمثال مستر أمرسون في « حجرة ذات منظر » ومسز مور في « رحلة الى الهند » ومسز ويلكوكس في هذه القصة . وهذه الشخوص تشبه شخوص فيرجينيا وولف أمثال مسز رامزاي في « الى الفنار » ومسز دالواي في « مسز دالواي » ، وهذه الشخوص من التي يفيض حبها وعطفها ليشمل الناس جميعا حتى الطيور والأشجار والحيوانات ولكنهم سلبيون ووظيفتهم في القصة كوظيفة « الوسيط الكيميائي » Catalysts في علم الكيمياء ، وهي المادة التي تؤثر في مادة أخرى وتسرعها دون أن تتغير هي ، وفي « هوارد اند » تحب مسز ويلكوكس هذا الدور ثم تموت وتفعل مارجريت سليجل نحلها . وعند جعفت مسز ويلكوكس حل وفاتها هذا التوازن تلقائيا دون جهد مقصود وهي مرتبة عالية من الحكمة تتمتع بها الحكماء ، وقد تكون قصة هذه الشخوص وسيطرتها على الحياة قصيرة ـ فقد كان مستر أمرسون يحتضر ، ومسز ويلكوكس تموت قبل نهاية القصة ـ الا أن سيطرتها على الآخرين تستمر ويمتد أثرها حتى بعد موتها ، وتتم هذا الأثر العجائبي من طريق طاقاتها الحيوية ، فمستر ويلكوكس جزء من الطبيعة ذاتها ( كما في مسز رامزاي ومسز دالواي ) وتستمر شخصيتها وأثرها في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل وتتسع اشعاعاتها في كل الانعكاسات كما تشارك الشجرة الضخمة التي تستظل بها المنزل والتي توحد في وسط الحقائق في الملو والتشاؤم ونجدها فيها في القصة « واقترنت ، كانت تسير بغير جلبة فوق المرجة ، وكان هناك حقيقة جزمة من الفش في يدها . كان يبدو انها لا تنتمي الى الجيل الجديد وسيارتهم ، بل تنتمي الى المنزل والى الشجرة التي كانت تظلل المنزل . كان الانسان يدرك انها تقدس الماضي وان الحكمة القديمة التي لا يصحبها الا الماضي قد ألفت اليها ... » .

فقد كانت علاقاتها علاقات قديمة تخلو من تعقدات الحضارة الحديثة ـ فهي مثلا لا تقول « ان الشاي قد نسخ الخطبة » بل تقول « انه قد كف عن حبها » وعندما تتحدث لا يتطلع حديثها من الانحناء الى الأرض الخضراء لتشم زهرة ، وعندما تكون وسط الناس يبدو أنها تحس بأفكارهم قبل أن ينطقوا بها ، وعندما تمشي، ساعدها ويمين أحلها تتأكد من تلقائيتها « من الضوء الذي ينبعث من الدفئة ، ومن الفائدة ، ومن الشمعة في المصباح وقد ألفوا هالة مرتجفة من النور حول يديها » ، ولا تهتم مسز ويلكوكس بالمسائل المنطقية أو بالأمور المعقدة عادة « كان التحدث بلباقة يزعجها ويضعف خيالها الرقيق ، كانت جزمة من الصين ، وردة » ، وبالرغم من أنها تقرأ من وقائع في الربع الأول من القصة الا أن أثرها وروحها تظل ترفرف على القصة كلها وعندما تترك منزلها الريفي بعد وفاتها لمارجريت سليجل فهي تؤكد لنا استمرارها المادي في حبكة القصة حتى نهايتها .

وتتحدث مارجريت طيلة فورستر في القصة لأن مسز ويلكوكس تؤثر الصمت وعندما فقدت مسز ويلكوكس صوتها وهي على فراش الموت فقد ترمز الى جوهر الأمومة وبدت أكثر وأعظم من شخصية في قصة ـ والمرأة التي تورثها مسز ويلكوكس منزلها ووشاحها وسلطتها الروحية لا تشبه كثيرا

من احست اليها ، هي شخصية حقيقية . وقد احست مس ويلكوكس الاحتقار لان ماريجريت كانت متقدمة على اقرانها من الشخوص الاخرى في طريق تكامل الشخصية التي اوردها فورستر . وبينما تظل مس ويلكوكس في قمة الكسوفة ترمز ماريجريت الى امكانيات الصيرورة ، فهي تشهد النكاح الناجح ولكنها انسانة مع ذلك .

ان طريق الفهم والتعاطف طريق صعب محفوف بالاخطار بالنسبة لماريجريت . فهناك اعتبارات طبقية وعادية تحول دون سعي الحاج نحو هدفه . والعبارة التي يختمها فورستر ويضعها تحت عنوان فصله هي « الوصل لا غير » Only Connect وتبدو ماريجريت احيانا وقد اصابها الاحباط لادراكها ان الامر ليس بالسهولة التي تصورها . فقد كانت لومن واخيها هيلين باهمية الاتصال البشري عن طريق الحب والصداقة ولكن ابيهما هذا يرمز بعد معرفتهما آل ويلكوكس . وعالمه ويلكوكس تمثل المال والتجارة والطابع المادي الديناميكي والحركة الخارجية وكلها انواع من النشاط الذي لا يسا بالعاطف أو الحب او الاتصال الوثيق . ويلخص لنا فورستر هذه الفكرة المحورية بطريقة موحية في سلسلة من « الرفيقات والضد » ولكن هذه الحياة القوية تغري ماريجريت وتكون لها اثرها في تقدمها الروحي ، وتحول لاحتها

« الحقيقة هي ان هناك حياة عظمة خارجية لم تلمسها ، انا واثب ( هيلين ) ـ حياة للترفيه والعصب فيها اهمية قصوى . والعلاقات الشخصية التي نضعها في اعلى مرتبة ليست في اعلى مرتبة هناك . فالحب هناك يمشي مهر الرواح ، والموت يمشي مراسيم الدفن ، والى هذا اعتقد اني واسعة . ولكني اواجه صعوبة . هذه الحياة الخارجية ، ولو انها من الواضح تفتيهة ، تبدو غالبا وكانها الحياة الحقيقية ـ فقيها صلابة ـ فهي فعلا تنسى الشخصية . ولكن هل تنفي العلاقات الشخصية الى خوء مترل في النهاية ؟ »

وقد تكون ماريجريت قد تمكنت من التغلب على هذه الحياة الخارجية ولكنها لم تحقق بعد هذا التوازن ، ولن تحد ما تبحث عنه ابدا تقدمه لها هيلين نوع من الاغراء

**« اني اقوى ان احبك اكثر من ذي قبل . نعم ، اني احبك . فقد شيدت واثبت شيئا حقيقيا ، وهذا الشيء روحي محض . وليس هناك ستار من الصوفي بيننا . فالخداع والتصوف يبدان عندما يلمس الانسان الجسد ... ان ما يهمنا يوجد فوق الاشياء الملموسة ، المال ، الازواج ، والشيء وراء مترل . ولكن سعادة الفردوس سوف تظهر هكذا . »**

وتفكر ماريجريت وتجيب دلسان فورستر

« كانت تشعر ان هناك شيئا قليلا من عدم الاتزان في عقل يقطع اوصال ما وراء هذه السهولة ـ فرحل الاتصال الذي يشير هذه الحياة وكانها كل شيء ، والمتصوف الذي يؤكد انها لا شيء ، يضلان في هذا الاصفاد او ذاك ، في اسارة الحقيقة ـ والحقيقة كان يمكن العثور عليها عن طريق وحلات مستمرة الى كل من العالمين »

وعندما يقترب القصة من نهايتها تدرك ماريجريت « ان الحياة عميقة ، كنهر عميق ، والموت سماء زرقاء ، كانت الحياة مترل ، والموت حرمة من القش ، او زهرة ، أو برج ، والحياة والموت كل شيء ولا شيء ، ما عدا هذا الجنون المنظم ـ وهناك روابط حقيقية فيما وراء الحدود التي تقدمنا الآن . » وتدرك ماريجريت ان العالم لابد له من كل شيء في توازن مناسب ، وهذا التوازن ، وقد ادركت مغزاه الآن ، هو أساس ما تتعهد به لروحها « فقد كان لابد من أن تتعهد به مرة واحدة في حياتها لتقوم الاعوجاج في العالم » وتصبح مس ويلكوكس جمهورها ، لان فورستر ، عن طريق ماريجريت يمتداد الى خيره ممن هم على شاكلته ـ واخطر المهام توجهه اليه هو انه رغم أن يوجد صلاته باخرين .

وتوجز القصة بهذه الاحكام التي قد تكون موضوع مناقشات ومناظرات فلسفية ، ولكن الآن طريقة

مرضها من الناحية الفنية والجمالية في قصة « هوارد اند » تعني انجلترا ذاتها كما يقول « ليونيل ترلنج » بطريقة مختصرة في كتابه عن فورستر ، فهذا يعني أن ملكية المنزل قد انتقلت من مستر ويلكوكس الذي يمثل أدم الطبقة الى مارجريت منتصل الذي ولدت في محيط أرستقراطية الثقافة الجديدة والاحساس المرهف الفني و الذكاء والمال والديمقراطية الليبرالية ، وانتقال ملكية المنزل اليها لم يكن مستهلا لأن آل ويلكوكس مما لهم من حيوية في عالم المال والتجارة سيحافظون على الثروة بتحويل فاوية ، ومستر أمر مستر ويلكوكس وفترتها حتى وهي في قبرها وتسير الأمور بمعتاد

[illegible] وطريقة مارجريت في ادارة شئون المنزل ترمز الى مستقبل انجلترا كما تخيلته فورستر ، فلا زال مستر ويلكوكس يعيش في المنزل ولكنه اصبح رجلا مرضيا وقد انتقلت السلطة من يده الى يد زوجته

وتصور الأمر عن السرعي من خلين شليجل وليونارد ناشئ جزءا من الثراث وهو نتاج طبقتين وفي المستقبل سيصبح الجميع احرارا وسكون للطبقة العاملة دور فعال في السياسة الى جوار الدور الذي يقوم به المثقفون وافراد الطبقة المتوسطة التي ستحل محل الرأسمالية الأرستقراطية التي يمثلها الحب والعطف وطريقة لتوطيد الروابط خلاف « المرهبات والعقوبات »

وعندما أطلق فورستر على قصته « هوارد اند » فهو يوحي الينا بأهمية الرمز وبأهمية المنزل الذي يتخذه على هذا المنزل الريفي ، وفي طبعة جديدة لدار نشر اوكس صمم الغلاف على ابراز هذه الرموز فوضع السيارة في امامية الصورة ووضع المنزل الريفي في خلفيتها وبحواره الشجرة العجوزة التي يستظل بها المنزل ، وفي هذا المنزل الريفي يرى الحضور الطبيعة والاستقرار والجمال ـ وكلها ينابيع الحضارة الانجليزية القديمة ، فالاختان مارجريت وهيلين من أصل انجلو جرماني وتمثلان الأرستقراطية الحضرية الجديدة التي تتركز في لندن والتي تعتمد على العقل ، ولكن يرى فورستر الفكرة الأساسية وهي أن انجلترا وطن عمل كل شيء وليست مكانا لبناء المنازل مثول « لقد ظهر هذا البناء الى حيز الوجود ، وذلك مقضي عليه ، واليوم قد تغيرت هوايت هول ، وسيحل الدور على شارع ريجينت قريبا ، وشهر بعد شهر أخذت رائحة البترول تفوح من الشوارع بشدة واصبح من العسير عبورها ، واخذ الناس يستقلون صعودة الى مصيرهم وهم يكلمون ، واخذوا يستنشقون هواء يقل عن ذي قبل ، وشاهدوا السماء تكتسي رويدا رويدا ، والكتشت الطبقة كتلت أوراق الأشجار تساقط في منتصف الصيف ، واغرقت الشمس من خلال سماء ملبدة بالدخان القذر »

وتقرب فورستر في حبه للطبيعة من ورذورث في اجزاء من القصة ، وفي اجزاء اخرى ينظر الى الطبيعة من بعد خلال جوتي

وتصور ليونارد ناشئ ووحي الينا فورستر بأن المنزل سيؤول الى ابنه في المدى الطويل ، وفي الوقت الحاضر يحاول مستر ويلكوكس أن يدخل المنزل ولكنه يسأل « من بعد المفتاح » ولا يجد جوابا ، ويدفع مارجريت ثمن المنزل بيدها بكل بساطة وتدخل فقد كان مقدرا لها أن ترث المنزل والأرض من حوله والشجرة التي تستر جزءا من المنزل ، وتتضح لنا ما ستفعله مارجريت بالمنزل وبانجلترا من طريقة ادارتها لشئون المنزل في نهاية القصة .

وينظر فورستر الى الآلة على أنها رمز للحركة الدائمة والتقدم المادي ، ويرى أن هذا التقدم لابد ان يصاحبه تقدم مماثل في الحب والشفقة لأن من يتبعون لا يستطيعون تأمل الحياة في أناة ورؤيتها رؤية كاملة ، والسرعة من أجل السرعة دون حساب الانتهاء والهدف شيء خطر بل شر ، وتشعر مارجريت بهذا « اني اكره هذا النمر المستمر في لندن ، انه خلاصة حياتنا ونحن في أسوأ حال ـ لوفي دائما ، وكل الحمال ، الخير والشر واللامبالاة في حركة تدفق ـ تسيل ، تسيل الى الأبد » .

ويعتبر مستر ويلكوكس ، متقري المال والتجارة ، هو المسئول الأول عن هذه الحركة الدائمة « كان حيوي يتحرك دائما ، ويدفع الآخرين للتحرك ، حتى تتابينت اطراف الأرض ، » وتمتد شركته

على المناطق في « الامبراطورية » وتؤثر هذه الحركة الجيولوجية على مسز ويلكوكس قبل وفاتها فتراها مارجريت وهي تصعد في مصعد « وعندما اغلق الباب الزجاجي للمصعد على مسز ويلكوكس احسست انها كالمسحورة ... امراة مثل ان توحد عالمها كانت في طريقها الى السماء كعبة في رحلة ، والى اي سماء ـ عدا كعبة المحروم ، سوداء كالباب ، ويتساقط منها الهباب » ، ورمز فورستر الى الآلية في انجلترا بالسيارة التي تحط التنحوس مواقف مختلفة ... فمنهم من يتحمس لها ومنهم من يكرهها ، والشخوصة التي تتعاطف مع السيارة هي التي تعتنق الآلية مثل تشارلز الذي يعني سيارته اكثر من عنايته بالآدميين من حوله ويقودها بسرعة فائقة دون ان يصل الى شيء ودون ان يعرف غايته ... ولهذا يصور لنا فورستر مسز ويلكوكس كسيدة لا يعنيها من امر السيارة شيء « كان يبدو انهما لا تنتمي الى الجيل الجديد ولا للسيارة ، بل للفيول ... » ونراها في منظر تشاهد فيه تشارلز « الذي كان لازال واقفا في سيارته الكريهة وهي تمر » ثم تحول بصرها بعيدا عنه الى ازهارها ـ ومارجريت ، التي ترث مسز ويلكوكس ، تكره السيارة ولا تتعاملها .

يعتبر فورستر من اوائله في هذه القصة نوع من الايمان والحكمة وسعة الصدر ، فهو يعلم جيدا ويعترف ان الحياة معقدة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... وبالرغم من توفر حسن النية والصدق فان توطيد العلاقات يصبح ممكنا اذا توفرت « العملة » ، وكما يقول جورج اورويل بعده بربع قرن من الزمان « ان روح العالم هي الاقتصاد » واحقر هرة ليست عدم وجود الحب ، بل عدم وجود العملة « ولكن مجرد الحصول على العملة لا يكفي لرفع الناس الى مستوى مقبول ...

يقول اليوت ان طبيعة انسانا لا تحتمل اكثر من الرجال الاغنياء في قصص فورستر ولذلك تعتمد انجلترا على النساء في بناء مستقبلها ... وفي هوارد اند تفشل فورستر حركة معظم الرجال ، فتعتمد تشارلز في السجن ، وبيوت ليونارد مات ، ويلكوكس مرض ، وتصبح الامور في يد مارجريت وهيلين كما كانت من قبل في يد مسز ويلكوكس ... وفي القصة تحيل الينا ان فورستر لا يدري كيف سيكون عليه الحال في المستقبل ويحاول ان يجعل القارىء يشاركه حيرته الشعور .

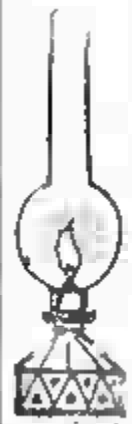

## رحلة الى الهند ١٩٢٤ A Passage to India

ما ان نصل الى قصته « رحلة الى الهند » الا ونجد فورستر قد نال الشهرة التي كان يستحقها وكان الوقت كذلك مواتيا لنشر كتاب مثل هذا الكتاب ... وكان فورستر قد انتهى من كتابة الجزء الاخير بعد عودته من الهند في عام ١٩١٢ ... وتقع حوادث القصة قبل الحرب العالمية الاولى ونشرها فورستر بعد أن كان حماس « كيبلنج » قد فتر للامبراطورية وكانت الديموقراطية في انجلترا قد بدأت تعطف على الهند ... وفي امريكا اثير النقاد على القصة على انها ادانة للحكم البريطاني في الهند ، وفي انجلترا اعتبرت القصة سلاحا تهكميا في يدي الذين كانوا يريدون السخرية من الطبقة الحاكمة وحزبي المدارس العامة ، ومن السياسة البريطانية بوجه عام .

ونظهر بعد نظر فورستر وما تنبأ به في القصة في نهايتها :

« الهند امه ! يا به من تمجيد ! انها الوالد الاخير الى عمة امم القرن التاسع عشر الكبراء ! تسير سريعة في عمله السامة من العالم لتحتل مقعدها ! هي ، تلك التي لم تكن لها من نظير سوى الامبراطورية الرومانية المقدسة ، سوف تقف مع جوانسالا على قدم المساواة ، وربما مع بلجيكا ! كان « فيلدنج » يسخر لانية « واحد عزيز يعتز في التعاهات مختلفة ، وقد تملكته ورد مالية ، غير مدرك لما يعني أن يعمل وصاح : « ليستقط الانجليز على كل حال ، هذا مؤكد . اغربوا عنا يا سادة ، وشاهدوا سرعتكم . انا قد ذكره بعضنا البعض ، ولكن كراهيتنا لكم لا يعرفها شيء . فان لم ارغمكم انا على الرحيل ، فسيفعل ذلك احمد او سيفعله كريم ... سوف نتخلص منكم حتى

وان حدث حينما ستة مشاجعة حبسين مرة ، اجل ، سوف تلقى بكل انجليزى لعين الى النهر ، وسندد ، — والجه بحواجه بحوه سفلا — ، وسندد ، والذى كلامه وهو بكاد يقتله ، سوف نصبح انت وانا صديقين ! ، ،

فقال الآخر وهو يمسك به فى حرارة ، ولم لا نكون اصدقاء من الآن ؟ ان هذا ما اريده انا ، وهذا ما اريده انت ، .

لقد اقتبس لورنس عنوان قصته من قصيدة بهذا العنوان للشاعر الامريكى ، والت وتمان ، وكان شاعرا متصوفا ، وتكون حبكة القصة من الصراع والفروق بين ثلاث حضارات — الحضارة الغربية المسيحية والحضارة الهندية والحضارة الاسلامية فى الهند ، ويمكن تقسيم الشخصيات الى ثلاث اصناف ، العالم الصاخى الطبيب والهندوكى المتصوف والانجليزى المسجى ، وربما كان الدكتور عزيز يمثل الرجل المسلم الشرقى بما فيه من عيوب ومحاسن ولكنه يسامى بحضارته وتجدها وكذلك العال مع جودبول وهيلدنج ، فكل شخص يحاول قدر استطاعته وفى حدود حضارته التى نشأ فيها وما لها من دلالات وتفسيرات ان يتصل بآخرين اتباء حضارة اخرى ، وتعكس القصة كل هذه المحاولات فى اسلوب واقعى رائع ،

وحبكة القصة مبسطة وهى الاعتقاد بان الدكتور عزيز قد اعتدى على فتاة انجليزية فى كهف من كهوف مارابار ، وتقوم رونية فى شاندرابور وحضور لنا فورستر الصراع والتحزب والحقد والعرق العنصرى فى سلسلة من المناظر البارعة التى تظهر فيها الشخوص على حقيقتها عندما تعرض لهذه الازمة فنرى سوء تطبيق العدالة والهستريا العامة التى تأخذ بمقل الشخوص وتحول من الصعب التوفيق بين وجهات النظر المختلفة ، ولكن العطف والذكاء والحب مستطيعون فى النهاية التغلب على هذه العقبات ، وينقسم الاوربيون الى قسمين ، فلاذ الفلوت فى جانب ويمثلهم الرائد كالندر وروبى هيلسوب وعدد اعضاء النحزب ضد المواطنين ، وفى الجانب الآخر يقف هيلدنج الذى كان يؤمن بمراداه الدكتور عزيز من هذا الاتهام ، اما مسز مور — وهى تنتمى الى عدد ما مسز ويلكوكس فى « هوارد اند » — فتبراء الهند قبل ان تسمع المحكمة الى القضية وتموت على ظهر السفينة فى البحر بين الشرق والغرب ، فلا هى قد وصلت الى انجلترا أو بقيت فى الهند لتؤدى دورها فى التقريب بين الحضارتين وتحول اسمها فيما بعد الى اسطورة يرددها السكان فى كلمة « أزمور » ،

وتعتبر مسز مور من زاوية اخرى اهم شخصية فى القصة لتعاطفها مع المسلمين والهنود وتظهر هذا التعاطف فى محادثتها فى المسجد مع الدكتور عزيز ، وتبدو بأجلى لحظات حياتها عندما تعرضها التجربة التى مرت بها فى كهوف مارابار .

« كلا ، انها لم تكن ترغب فى تكرار التجربة ، وكلما ازدادت تفكيرا فيها ، تعذب فى نظرها اتطع وارهب ، لقد اصبحت الآن تعتق بها اكثر مما كانت وقت ان مرت بها ، لقد كان فى وسعها ان تنسى الصدمة والرائحة ، اما الصدى فقد بدأ يهدم تعلقها بالحياة على نحو لا تستطيع وصفه ، ذلك لان هذا الصدى الذى اتى فى وقت تصادف فيه ان احست بالتعب كان يهمس فى الهمسا « ان العطف ، والشفقة ، والتضحية ، كلها موجوده ، ولكنها جميعا سواء ، وكذلك العذابة — ان كل شىء موجود ، وليست هناك قيمة لاى شىء » ، ولو كان المرء قد نطق الفرع الالفاظ فى ذلك المكان ، أو اتشد شعرا رمسا ، لاتاه رد واحد لا تتغير هو « أو — بوم » — ولو كان قد تحدث بلسان اللابة وداع عن كل ما فى العالم الحاضر والماضى والمستقبل من تفاهة وسوء تفاهم ، ومن كل نوس يجب أن تعانيه الناس مهما كانت اراؤهم ومراكزهم ، ومهما حاولوا أن يتعبروا عنه او تحسوه — لو كان قد عمل ذلك لاعطى الى نفس النتيجة — ولكن فجأة ، وفى طرف ذهنها ،

طبرت العقيدة ، العقيدة المسيحية المسكينة الصغيرة الزرقاء ، وادركت ان كل عباراتها القدسة من « ليكن نور » حتى « قد اكمل » ، كل هذه لم تكن تؤدي الا الى « يوم ».

وها احسست بخوف اومع بقاما من المشمئز ان الكون الذي لم يفهمه عقلها ابدا ، لا يسمح روحها الراقدة التي تشمئز منها ، وادركت انها ؟ تريد ان تكتب لأولادها ، ولا تريد ان تعمل ناجد ، حتى لله ذاته ! »

ولكلمة « رحلة » في عنوان القصة معناها ، فهي محاولة اخرى للربط والاتصال وهي همزة الوصل بين طريقة في الحياة واخرى ، بين الغرب والشرق ، بين العلم الانساني في مراحله مع الاداة الحكومية المستمرة وبين الحرية والاستقلال . والقصة بالاضافة الى هذا كله صورة صوفية وحيرة للحياة والموت والعلاقات الانسانية . واذا كان هناك غموض في القصة فهذا يرجع الى طموح فورستر واتساع رقعة اهتمامه ويوضح فورستر موقفه وموقف العربيين من الهند في العبارة التالية :

« كيف يستطيع العقل أن يفهم بلادا كهذه ؟ لقد حاولت اجيال الغزاة أن تفهمها ، ولكنها ظلت تائهة منهما . فما كانت المدن الهائمة التي شيدوها الا اماكن يسكنون فيها ، وما كانت معارفهم الا قدرا من ضيق الناس لا يجدون للعودة الى وطنهم سبيلا . وان الهند لتعرف مشاعرهم حق المعرفة ، بل انها لتعرف مذاهب العالم باسره ، حتى اصدق اعدائها . وهي تنادي قائلة « اقبلوا » باقواهها الفاة ، ومن خلال اشياء تائهة واشياء فجة . ولكن « اقبلوا » الى اي شيء ؟ هذا ما لم تحدده ابدا . »

وفي دراسته له يقول « جلين الان » ان تقسيم القصة الى « المسجد » و « الكهوف » ، « الهند » يشير الى الربيع والصيف والخريف المطير في الهند ، الى العاطفة التي يمثلها الدكتور عزيز والى العقل الذي يمثله فيلدنج والى الحب الذي يمثله « جودبول » . اما مسز مور فتنتمي الى كل هذه المواقف فهي تشعر بالراحة في المسجد والكهف والهند . ويتم التقسيم كذلك الى طرق ثلاث : طريق العمل وطريق المعرفة وطريق التأمل والعبارة .

ولا يعتبر الصراع في القصة على صراع بين الحضارات بل على صراع بين افراد حضارة واحدة كما يتضح من الموقف التالي بين رونى ومسز مور :

« ـ انا لم اتحدث الى هنا لكي اسلك سلوكا طيبا !

ـ ماذا تعني ؟ ( قالت مسز مور )

ـ اعني ما اقول . انا جئنا الى هنا لنقيم العدالة ونحافظ على الامن . هذه مشاعري ، وليست الهند حجرة استقبال .

ـ ان مشاعرك مشاعر اله ، قالتها في هدوء ، ولكن سلوكه هو الذي فاقها اكثر من مشاعره .

ثم قال وهو يحاول أن يعود الى طبيعته « ان الهند تحب الالهة . »

ـ والانجليز يحبون أن يظهروا كالهة .

وقالت وهي تدق بالجوارب في اسنانها « سأحادل في ذلك ، وفي الحقيقة سأعلن رأيي في المسألة ان الانجليز قد جاءوا هنا ليكونوا لطافا . »

لسألها وقد عاد يتكلم في رفق لأنه خجل من انفعاله ، قائلا

ـ وكيف تعمين ذلك يا امي ؟

ـ لأن الهند جزء من العالم ، وقد جعلنا الله على الارض لكي يحب بعضنا بعضا . ان الله محبة . »

ان نهاية القصة ليست واضحة تماما ويحاول فورستر تذكرك أن « رحلة الى الهند » لا تكفي هل ، كما يوم الشاعر والله وليمان ، رحلة الى ما وراء الهند !